العدة الحربية للوحدات الإفريقية المساعدة للجيش الروماني
من خلال النصوص القديمة

الدكتورة/ عمروس فريدة

معهد الآثار– جامعة الجزائر 2

الملخص:

في خضم حربها مع قرطاجة،استعانت روما بالجنود الأفارقة الذين لعبوا دورا كبيرا في انتصارها على قرطاجة.وتتمحور مداخلتي حول التعريف بعدة سلاح الجنود الأفارقة من خلال ما ذكرته المصادر القديمة الإغريقية – الرومانية ،بالإضافة إلى الآثار التي أعطتنا فكرة ملموسة عن شكل سلاحهم .

تمهيد:

كان للوحدات الإفريقية المساعدة مكانة هامة في صفوف الجيش الروماني نظرا لفاعليتها أثناء المعارك المختلفة التي خاضتها.

يرجع السبب الأساسي لاستعانة الرومان بقوات إفريقية، إلى صعوبة تأقلم الفيالق الرومانية مع الظروف الصعبة للمناطق المستعمرة، وإلى تقاليد الرومان التي تنص على تجنيد الأهالي المحلية في إطار تحالفات أو لغرض فرض السلطة على المقاطعات المستعمرة.

وظهرت أولى الوحدات الإفريقية المساعدة خلال الحروب البونية، حيث لعبت دورا فعالا على الرغم من عددها القليل، سيما الفرسان النوميديون الذين ساعدوا روما في انتصارها على قرطاجة.

و لقد تحدثت المصادر القديمة عن شجاعة وقوة وخفة المحاربين الأفارقة، وهذا ما أكدته الدلائل الأثرية والإكنوغرافية التي سمحت بتسليط الضوء عن

بعض تفاصيل هذه الوحدات، كالأسلحة التي كانت تستعملها أو زيها العسكري.

I. الوحدات المساعدة:

ظهرت احترافية الجيش الروماني مع الجنرال ماريوس (Marius) ثم ازدادت أكثر مع حكم الإمبراطور أغسطس، حيث برز نوعان من الفيالق: الأول يتكون من مواطنين رومان والثاني من محاربين مجندين ضمن أهالي المستعمرات والحلفاء.

وفي حوالي سنة 40 م كان كل المغرب القديم تقريبا يخضع للسيطرة الرومانية. وكان لزاما على المقاطعات أن تساعد الجيش الروماني، وعلى رغم من تنظيم عملية التجنيد إلا أن عدد الجنود الأفارقة يبقى متواضعا أثناء القرن الأول ميلادي.

واختلفت طريقة التجنيد من مقاطعة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال كانت تبعث الوحدات المجندة من مقاطعتي البروقنصلية و ونوميديا نحو المشرق. وتعتبر مقاطعة إفريقيا البروقنصلية من بين أول المقاطعات التي بدأت تزود القوات الرومانية بالجنود. وكان توظيفهم أساسا من قبائل الأفري (AFFRI)، والجيتول (Gétules) والموسولام (Musulames)، والنوميد (Numides)[1].

وباتساع الرقعة الجغرافية للإمبراطورية الرومانية، أصبحت حماية المقاطعات تتطلب عددا مهما من المحاربين، الأمر الذي دفع بالحكم الإمبراطوري إلى تجنيد القبائل المحلية مقابل احتفاظ هذه الأخيرة بنظامها القبلي مع تعيين أمير (princeps gentes) على رأس كل وحدة. يتم اختياره ما بين سكان

1 - Cagnat (R), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913. P : 266.

قبائل المقاطعات، ومن طرف روما. ومن صلاحياته تجنيد أكبر عدد من أهله، لا سيما الأقل رومنة كالقبائل المكونة لمقاطعتي موريتانيا القيصرية والطنجية[1].

يمكن لهذه الوحدات أن تبعث في مهام إلى خارج مقاطعتها الأصلية، وعلى الرغم من دورها الأساسي داخل الجيش الروماني وفعالية مقاتليها، إلا أنها تبقى وحدات غير دائمة، إذ لم يذكر أي مصدر قديم وجود قوات مورية خلال فترة حكم الإمبراطور ترايانوس (Trajanus)، وبالتالي فهي وحدات خارجية[2].

II. الأسلحة:

1. الحصان النوميدي:

تعتبر الفروسية النشاط الأساسي لدى الأفارقة القدامى الذين حافظوا عليها خلال الحكم الروماني. فتربية الأحصنة تشكل ثروتهم الأساسية وهذا ما تؤكده المصادر القديمة وعلى غرار سالوست (Salluste) عند وصفه للملك يوغرطا: "... كان يوغرطا في شبابه قويا وشجاعا ويتمتع بذكاء حاد، فلم يدع الغنى ولا الرفاهية تبعدانه عن تقاليد النوميديين، فكان يمتطي حصانه دون سرج ويمارس رماية الرمح وسباقات الخيل. وكان غالبا ما ينافس الشباب في منافسات كان دائما فائزا فيها. وكان يقضي القسط الكبير من وقته في الصيد ...."[3].

يعتبر الحصان النوميدي من أخطر الأسلحة التي استعملتها الوحدات المساعدة الإفريقية نظرا لخفته وسرعته في التحرك ويتميز بقدرات خارقة للعادة

1 - Tacite, annales, IV, XXIV, traduction J.Poncet, Louvain,2001
2 - Chadburn (C), L'équipement militaire des auxiliaires africains dans l'armée romaine.
3 - Salluste, guerre de jughurta, VI. Traduction A Ermout et A Gouarch, les belles lettres , Paris, 1989

وبالصمود أيضا وبالتكيف في الأوساط الطبيعية الصعبة مثل الجبال وهذا ما يعطيه قيمة كبيرة لدى الرومان.

ويتميز أيضا بقصر قامته وهذا ما يشهد عليه تيت ليف (Tite Live) عند حديثه عن الفرسان النوميديين: "..... عند امتطاء النوميديين خيولهم، كانوا يمتثلون أمام العدو دون إفتزازه. كان أول انطباع يقدمونه هو المظهر البسيط والغير عدواني نظرا لنحافة وقصر قامة الفارس وحصانه ..."[1].

ويعتبر حصان المغرب القديم من أقدم سلالات الأحصنة، أطلق عليه الأوروبيون "بارب" (Cheval Barbe) وهي تسمية مشتقة من كلمة باربايسك، أي سكان شمال إفريقيا[2].

2. عدة الحصان:

أ. اللجام:

تدل معظم النصوص القديمة على عدم إستخدام اللجام من قبل الفارس النوميدي، وتنص نفس المصادر على استخدام عصا قصيرة تسمح بتوجيه الحصان من خلال إعطائه ضربات خفيفة على رقبته. ونذكر على سبيل المثال نص لـــ سيليوس إتالكوس (Sillius Italicus) الذي يقول: "... يمتطي الفرسان النوميديون خيولهم بكل سهولة من دون لجام ويستخدمون للتحكم في الخيل سوى عصا رقيقة، يوجهون بها ضربات خفيفة بين أذني الحصان ...."[3].

1 - Tite – Live, Histoire romaine, XXXV, 11. Lassere, edit classique Garnier, Paris 1941

2 – المتحف الوطني للأثار القديمة "الجزائر تراث وحضارة". ص37.

3 - Sillius Italicus, I, 215 – 218.Punica , traduit par J.D.Duf

ويذكر الجغرافي سترابون (Strabon) في نص آخر ما يلي: ".... فرسان أفارقة يحملون في أيدهم عصي ..."[1].

رغم تأكيد عدد من النصوص القديمة على عدم وجود لجام على الحصان النوميدي إلا أننا وجدنا نصب لفارس نوميدي يعود للفترة الرومانية، ومحفوظ بالمتحف الوطني للأثار القديمة يمثل بكل وضوح فارس يمسك اللجام بيده اليمنى وتم العثور على هذا النصب بباب الواد (الجزائر العاصمة). (الصورة رقم 01)

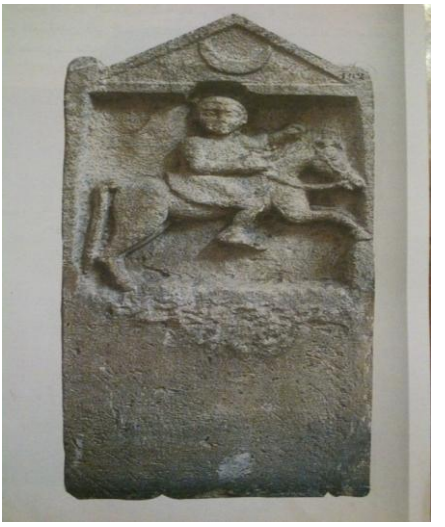

(**الصورة 1**): فارس نوميدي (المتحف الوطني للأثار القديمة)

ب. السرج:

لم يستخدم السرج من طرف النوميديين، حيث كانوا يمتطون أحصنتهم دون سرج وهذا ما يوضحه نصب باب الواد، حيث نرى الفارس يمتطي الحصان من دون سرج، وتؤكد ايضا النصوص القديمة ونذكر نص لوكين الذي يقول: "النوميديون الرحل والجيتول كانوا دائما في استعداد على متن خيولهم

1 - Strabon, Géographe, XVII, 3,7. . Traduction Amédée Tardieu, édit Hachette, Paris, 1880

دون غطاء .... وقبيلة المسيل الذين يمتطون الخيل دون أي سرج أو غطاء، كانوا يوجهون مركبتهم عن طريق عصى ".

بالإضافة إلى نص لقيصر (César) الذي يقول فيه: "... أخذ معه ثلاثة فيالق، 800 فارس من الجيش النظامي وعدد معتبر من الفرسان النوميديين الذين لم يكون يستعملون السرج ...."[1].

3. الثياب (الزي):

أ. الرداء (القميص):

كان النوميديين يرتدون أقمصة بسيطة وقصيرة تصل إلى أسفل الركبة وتشد بحزام حول القامة. (الصورة رقم 02)

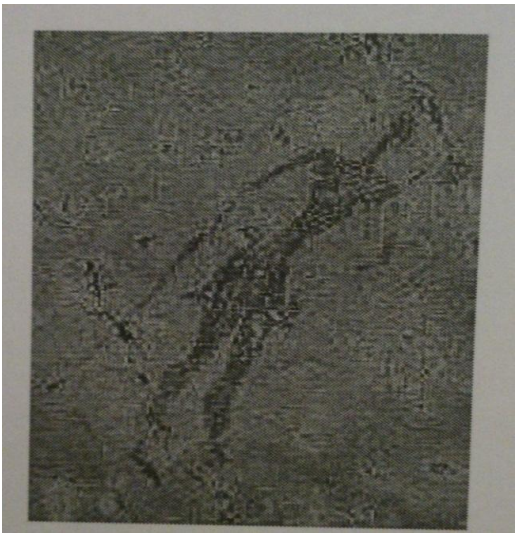

(الصورة 2)

Chadburn (C)

1 - César, Guerre d'Afrique, 48.traduit par A. Bouvet, les belles lettres, Paris, 1949.

وهذا ما تؤكده المصادر الإيكونوغرافية ومختلف أنصاب الفرسان النوميد المتمثلة في أنصاب أبيزار (Abizar) ونصب باب الواد ... .

لا يمكننا معرفة تفاصيل هذه الأزياء كزخرفتها مثلا أو ألوانها. فرضية اللون الأحمر والزخارف الهندسية على الزي تبقى معقولة حسب قول هيرودوت. نظرا لتفضيل النوميديين لهذا اللون، وهذا النوع من الزخارف[1].

يعتبر القميص القصير من المعدات الخفيفة للمحارب النوميدي الذي يسمح له بسهولة التحرك أثناء المعركة.

ب. الحذاء:

معظم المصادر الإكونوغرافية تمثل الفارس النوميدي دون حذاء (حافي القدمين) وهذا ما تؤكده أنصاب أبيزار (Abizar) ونصب باب الواد الذي يمثل فارس حافي القدمين.

إلا أنه إذا ما نظرنا إلى النوميدي المجند في الفيالق الرومانية الموجودة بالمقاطعات الجرمانية، يصعب علينا تصديق أن هذا الفارس مهما كانت قدرته البدنية تحمل الجليد وبرودة الطقس المعروفة بها هذه المناطق. وبالتالي فعلى الأرجح أنه كان يرتدي حذاء من الجلد، مثل ما يشهد عليه فارس Chemtou المؤرخ في القرن الأول قبل الميلاد[2]. (الصورة رقم 03).

1- Hérodote, HistoireVII, 71, Traduction, A.Barguet, edit, Gllimard, Paris, 1964.

2 - Chadburn (C), Ibid, p : 05. 2006.

(**الصورة 3**): فارس شمتو (C) Chadburn

4. الدرع:

أ. الدرع الدائري:

تصنف المصادر التاريخية الدرع النوميدي على أنه دائري وصغير وهذا ما تؤكده الدلائل الأثرية كأنصاب أبيزا (Abizar) (الصورة رقم 04 - 05).

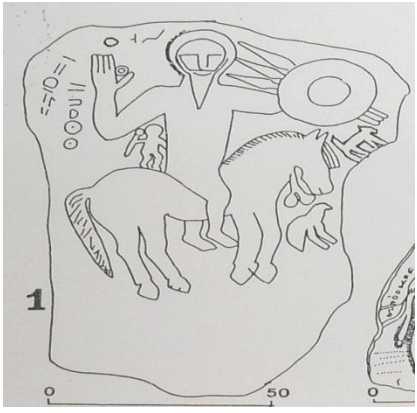

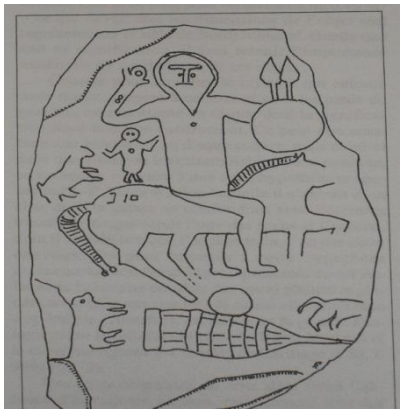

(**الصورة 4 – 5**)

أنصاب أبيزار : G. Camps, Encyclopedie berbére, I.1984, P 80.

بمنطقة القبائل، أين مثل الفارس النوميدي بدرع دائري صغير في يده اليسرى مع بعض الرماح، كما نجد نفس المشاهد في الأنصاب الليبية المكتشفة بمنطقة برج – القصر والأنصاب البونية بمدينة وليلي (Volubilis)[1].

هذا النوع من الدروع يعتبر الأكثر رواجا في شمال إفريقيا والأكثر إستعمالا وذلك إلى غاية القرن الأول ميلادي على الأقل. كما يشهد عليه النصب الجنائزي للجندي المساعد الجيتولي .(Aurelius [2]Masfelus)

(**الصورة 6**)

Chadburn (C). Aurelius Masfelus الجندي

وفي القرن الثاني ميلادي جند الكثير من الموريين في الجيش الروماني وعلى رأسهم الموري (Lussius Quitus) الذي كون فيلق جديد (Vexilatio) من فرسان جندوا كلهم من قبائل مورية. وكان هذا الفيلق يتميز بشهرة عظيمة. ومن أبرز المعارك التي فاز بها هي معركة (Dacié) 106 – 104م[3].

---

1 - Ibid.
2 - C, I, L, VIII, 21516.
3 - Dion Cassius, Histoire romaine, Livre 68.32. T, I, Traduction Gros, Paris 1845.

وبالتالي شيد نصب تذكاري على شرف فيلقه المسمى بعمود ترايانوس بروما. مثل فيه الجنود المور وهم يقتحمون ميدان معركة بكل شجاعة ويحملون نفس الأسلحة المسجلة في أنصاب أبيزار، مع فارق طفيف في حجم الدروع، حيث الدروع الممثلة في نصب ترايانوس كبيرة نوعا ما (الصورة 07).

(**الصورة 7**)

نصب ترايانوس. Chadburn (C).

إستمر إستخدام هذا النوع من الدروع الصغيرة والدائرية إلى غاية القرن الثالث ميلادي، كما تؤكده الكثير من الأنصاب ومن بينها نصب الجندي (Lucius Rogatus)، (الصورة رقم 08).

(الصورة 8): الجندي **Lucius Rogatus**

ويرجع السبب الرئيسي لإستخدام هذا النوع من الدروع إلى خصائص الفارس الإفريقي المعروفة بالخفة، فالحجم الصغير يساعده على الحفاظ على هذه الخاصية[1].

ب. الدرع البيضوي:

مثلت بعض المصادر الأثرية نوعا آخر من الدروع، ذات شكل بيضوي نذكر على سبيل المثال نصب موقع الحفرة (الصورة رقم 09).

1 - Orose, V, 15, 17.

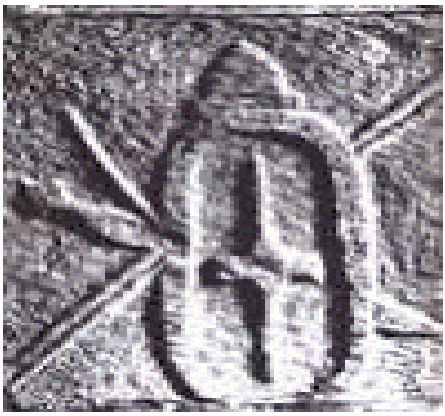

(**الصورة 9**):

نصب لدرع بيضوي الشكل S. lancel, l'Algérie antique, 2003. P 55

وفسيفساء الأسرى التي تعود إلى نهاية القرن ثاني ميلادي أو بداية القرن الثالث ميلادي، أين مثل في المشهد رجل عار، جالس على درع بيضوي الشكل. (الصورة رقم 10).

(**الصورة 10**) **فسيفساء الأسرى**

S. lancel, l'Algérie antique, 2003. P 79

وبالتالي لم يكن للجنود الأفارقة نفس االدروع خلال الفترة المحصورة بين القرنين الثاني والرابع ميلاديين على خلاف ما ذكره سترابون (Strabon)[1] الذي أكد أن لليبيين نفس العدة الحربية.

5. الرمح:

يعتبر الرمح السلاح الأساسي لدى الجندي الإفريقي، الذي كان يحمل على الأقل ثلاث رماح (استنادا على أنصاب أبيزار). تصنع هذه الرماح من الخشب، رؤوسا مثلثية الشكل، ويتم تصليبها بالنار، وغالبا ما تحمل إطار معدني هذا ما تؤكده بعض النصوص القديمة على غرار هيرودوت الذي يقول: "... كان الليبيون يسيرون بثيابهم المتمثلة في جلود الحيوانات وهم مسلحون برماح خشبية مصلبة بالنار"[2]. ويتفق سيليون إطاليكوس مع أقوال هيرودوت، ويضيف أن الرماح تصنع من القصب ويمكن أن تكون لها رؤوس معدنية[3].

تبقى الرماح والدروع هي الأسلحة الوحيدة التي كان يحملها الجندي الإفريقي، حتى خلال الفترة الإمبراطورية. وهذا ما تؤكده النصوص الإكونوغرافية.

أما المصادر القديمة فتؤرخ استخدام السيوف من طرف القبائل البربرية والخناجر من طرف الموريين إلى القرن السادس ميلادي (حسب بروكوبيوس)[4].

1 - Strabon, Livre XVII, 3.7.
2 - Herodote VII, 71.
3 - Sillius Italicus, Livre, III, 304.
4- Procope, Livre II, 10. 9. Histoire de la guerre des Vandales,Paris,1852

إستعملت الأسلحة البيضاء في وقت متأخر، حيث قال تيت ليف أن النوميديون كانوا يخبؤون سيوف تحت دروعهم أثناء المعارك[1]. ربما كان يتكلم عن خناجر، حيث يستحيل إخفاء سيف تحت درع مهما كان نوعه[2].

III. تقنيات الحرب:

من خصائص الفارس النوميدي إمتطاؤه الحصان دون سرج ولا لجام، حيث لا يستعمل سوى عصا لتوجيه حصانه والتحكم فيه. كما يتميز بقدرته الكبيرة على التحمل، وخبرته العالية في حصار العدو داخل المعركة، كإستخدام تقنية الدائرة السانتندرية (Cercle cantrabrique) والتي يكمن في رمي الرماح على العدو وفق دائرة تحيط به وتحاصره.

ومن التقنيات المعروفة والمسرودة عن هؤلاء الفرسان الأفارقة هي أنهم يبعثون بهجمات وضربات سريعة وفجائية مبعثرين بذلك صفوف العدو قبل أن يتراجعوا إلى الوراء وبسرعة فائقة.

ويروي تيت ليف، عن الخيالة النوميديين، أنهم غالبا ما كانوا يجلبون معهم حصانين، حيث كان الفارس يغير الحصان التعب وذلك أثناء المعركة، عند اشتداد الصراع[3].

خلاصة:

يعتبر الفرسان النوميديين، خلال الفترة القديمة، من بين أفضل فرسان الحوض المتوسط، وشكل الرمح السلاح الرئيسي الذي أستعمله هؤلاء المحاربون، حيث يتقنونه بفعالية عالية، جعلت منهم مصدر فزع وخوف للعدو.

1 - Tite – Live, Livre, XX II, 48.
2 - Chadbrum (C), Ibid – p : 36.
3 - Tite – Live, XXII, paragraphe 29.

وكانوا يعتبرون كابوسا حقيقيا للخصم إذ يستحيل هزمهم في ميدان المعركة، لما عرف عنهم من شجاعة وخفة.

ومع نظام الرومنة تحصل العديد من الأفارقة على المواطنة الرومانية، وبالتالي أصبح تجنيدهم يتم ضمن الصفوف النظامية، والفيلق الثالث الأغسطسي خير دليل على ذلك.

أما الجنود الذين يجندون ضمن الوحدات المساعدة كالجيتول (Cohors **I** Gaetulorum) والموسولاميون (Cohors **I** flavia musulmamiorum équitata) والنوميديون (Cohors **I** Numidarum)، فكانت عدتهم الحربية تقليدية وتنحصر دائما على الدرع الدائري الصغير والرمح[1].

اختلفت من دون شك العدة الحربية من منطقة إلى أخرى ومن حقبة زمنية إلى أخرى. وبالرغم من ذلك، إلا أن الجندي الإفريقي يبقى فريد من حيث عدته الخفيفة.

ولقد تقلد بعضهم أعلى المناصب في الجيش الروماني على غرار Lussius Quietus أثناء فترة حكم ترايانوس.

1 - Le Bohec, (Y), la Troisiéme légion d'auguste, Paris 1989, P. 73.

قائمة المصادر:

.1 Cesar, guerre d'Afrique, **.**traduit par A. Bouvet, les belles lettres, Paris, 1949.

.2 CIL, VIII.

.3 Dion Cassius, histoire romaine, traduction, E.Gros, Paris ,1845

.4 Hérodote,Histoire **,** Traduction, A.Barguet, edit, Gllimard, Paris, 1964.

.5 Salluste, guerre de jughurta,. Traduction A Ermout et A Gouarch, les belles lettres, Paris, 1989

.6 Sillius – Italicus, I, 215 – 218. Punica , traduit par J.D.Duf

.7 Sillius – Italicus, Livre III, 304.

.8 Strabon,. Traduction Amédée Tardieu, édit Hachette, Paris, 1880

.9 Tacite, annales, **,** traduction J.Poncet,Louvain,2001

.10 Tite Live, XXII, 48. Histoire romaine, XXXV, 11. Lassere, edit classique Garnier, Paris 1941

Tite Live, XXII, 29.

.11 Tite Live, XXV, 11.

قائمة المراجع:

.1 Cagnat (R), l'armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris 1913.

.2 Chadburn (C), L'equipement militaire des auxiliaires africaines dans L'armée romaine, 2006.

.3 Le Bohec (Y) – la troisiéme Légion d'Auguste, Paris 1989.

4. من إكوزيم إلى الجزائر: المتحف الوطني للآثار القديمة. الجزائر 2007.